FiKrun Wa Fann
Arnold Hottinger, Beirut
No 3 1964
2. Jahr

بسم الله الرحمن الرحيم

جواد سليم

بقلم ارنولد هوتينكر

كيف يمكن مجاراة الحياة العصرية مع الاحتفاظ بالذات ؟ يتضمن هذا السؤال كثيرا من معضلات الشرق الأدنى المعاصرة ، فما معناه ؟

ان «مجاراة الحياة العصرية» من حيث هي مهمة يعد الشرق الأدنى لها نفسه ، تعنى التحكم بالظرف والمحيط عوضا عن الخضوع لهما . انها تعنى الحصول على المعرفة والمهارات الفنية مع الرغبة فى استخدامها بثبات فى طرق يمكن معها التغلب على العالم المادى . وهى تعنى ضبط قوى الغريزة والانفعال والعاطفة التى سمح لها بأن تحكم دون تبصر . وتعنى كذلك فهم الارتباطات السببية والقدرة على ايلاج ارادة المرء ضمن سلسلة من الأسباب والنتائج حتى يتمكن من الوصول الى هدف يبتغيه .

أما «الاحتفاظ بالذات» فتعنى المقدرة على الاستمرار فى تنمية صفات وقيم يعتبرها المرء أو يشعر بأنها قيم الماضى الجوهرية ، مفردة ومجموعة . انها تعنى كذلك احتفاظ المرء بجذوره فى الماضى واستمراره فى النماء بطريقة تمكنه من استنباط قوة من تلك الجذور .

والآن ، هل كل من تينك الرغبتين الأساسيتين منفرد بذاته ، أم انه بالمستطاع التوصل الى كليهما فى الوقت نفسه ؟ ان الشرق الأدنى الحديث واثق من ان ليس هناك محال للاختيار ، ومن أن كلا الغايتين المثاليتين يمكن التقريب بينهما ، غير أنه لا سبيل الى التنبؤ عن كيفية تحقيق هذا العمل المزدوج ، ففى غالب الأحيان تنشد «العصرية» على حساب الأصالة ، أو من الناحية الأخرى ، يحتفظ بالأصالة على حساب اهمال «العصرية» . والواقع أن فى الظروف الحاضرة للشرق الأدنى الحديث هذين الهدفين متعارضان ، ولا يستطيع أى قدر من مجرد الحجاج الجمع بينهما . فهل لا بد من الخيار اذن ؟ وهل من العبث أن يقصد الى الهدفين فى الحال ؟ وهل على الأصالة أن تذهب فى سبيل «العصرية» ؟

ان هذه القضية تتعلق بالقوى الخلاقة لشعوب الشرق الأدنى ، وكلا الهدفين معا يمكن أن ينشدا فقط اذا أمكن ايجاد أشكال جديدة من الحياة العصرية تتصل بالتقاليد الثقافية العظيمة لتلك البلاد . وان لم يمكن ذلك فسيعقد النصر «للعصرية» ، وستكون حينذاك «عصرية» مستوردة ، لا جذور لها فى المنطقة ، «عصرية» ضرورية ولكنها أجنبية ، مرغوب فيها ولكنها مقيتة ، مفيدة ولكنها هدامة . ولن يعانى الشرق الأدنى من جراء ذلك الحدب فحسب ، بل ان الغرب ايضا سيفقد صنوا ثقافيا عتيدا وحيويا .

كل هذا ينبغى أن يقال ان أراد الانسان أن يفهم أهمية عمل خلاق استنزف حياة صاحبه كعمل جواد سليم ، اذ فى عمل هذا الفنان العراقى ضرب توازن بين الفن الحديث والتقاليد الشرقية العظيمة . لقد تعلم جواد سليم طريقته ، بصورة جوهرية ، من أوروبا وفى اوروبا ، ومر تمرنه فى مراحل اتصل خلالها بالمهاجرين البولنديين فى بغداد الذين عرّفوه بالفن الحديث وبمدارس الفن الحديثة فى لندن وايطاليا .

وقد يتساءل المرء عن ماهية هذه الطريقة التى تعلمها جواد من أوروبا . انها اكثر من صياغة فنية ، انها

جزء من باب حديقة الامة، بغداد.

بصورة رئيسية طريقة رؤية ، أداة لتحليل العالم الذى حوله وكشفه للنظر ، انها صياغة فنية حديثة ، رغم أنها لم تنشأ من ذلك الفرع من «العصرية» الذى يهدف الى التحكم بالعالم المحيط بل هى تنتمى بالأحرى لذلك الفرع التكميلى المتخلف الذى يحاول التغلغل فى الأشياء ، وفهمها أنيتها واعادة خلقها بوسائل فنية .

لقد تكونت أداته وعينه فى أوروبا ، فماذا نجم عن الشرق ؟ . . . المضمون . وهل هذا يعنى المادة ؟ — انه أكثر من ذلك ... التراكيب التى ينفذ اليها ، والعالم المحيط الذى يعرض بمظاهره الجوهرية ، هى شرقية ، بغدادية ، جوادية ... غير أن ما يظهر حولها ايضا هو شرقى . ان ما توفر عليه الفن الشرقى الموغل فى القدم قد عاد

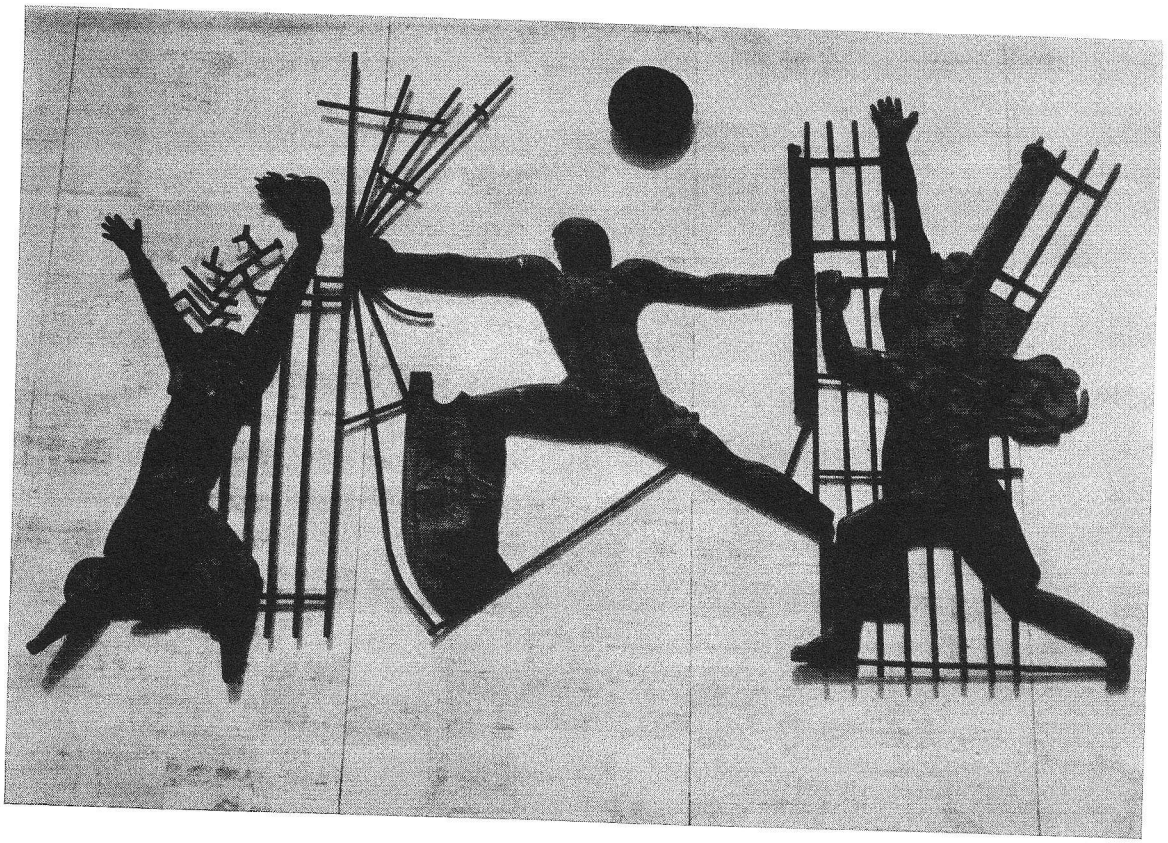

جزء من باب حديقة الامة، بغداد.

تحلته الحديدة تحقق ذاته ويعود للحياة العصرية . ترى ما الذى توفر عليه ؟ انه مهمة معينة ذات انسجام . انسجام وحسب ؟ انه اكثر من ذلك . انه انسجام ايقاعى . خذ لوحة من لوحات بيكاسو الكلاسيكية أولا — على سبيل المقارنة — تجدها منسجمة ولا ريب ، ولكن بنوع مختلف من التوازن ، كما تجدها محورا لذاتها ، مستكنة فى نفسها ، ومشتقة من أصول اغريقية . ثم فكر فى لوحة عنيفة لبيكاسو تتمثل فيها حركة عنيفة ممزقة ، ومتفجرة تعبر عن انفعال وألم . ثم عد الى سليم تجد أن توازنه يتصف بالتدفق ، ويبدو هشا رخصا ، ولكنه فى الوقت ذاته أقل عرضة للخطر ، وأقل تفردا من لوحة كلاسيكية لبيكاسو أو تمثال اغريقى . فصوره لا تعتمد على ذواتها ، ويدل توازنها على أنها جزء من كل أكبر تعبّر عنه بالاجزاء المرئية لفن الزخرف العربى الذى تسهم فيه . وقوة هذه الصور ، وعدم قابليتها للاندراس ، مشتقة من مثل هذا الاسهام . ان مغزى فن كهذا هو اظهار حقيقة الترابط المتبادل ، واستحضار الوحدة الكلية الشاملة التى يكون الكل جزءا منها .

لقد عرف جواد عن كل هذا . وكان شديد الاهتمام باختام ما بين النهرين ، وبالزخارف العربية ، وبفن العمار التركى ، وكان يعلم انه كان بوسائله (المكتسبة حيث كانت الادوات هى الفضلى والعيون هى الاشد يقظة) يواصل مهمتها الممعنة فى القدم ، وخدمتها وبيتها فى الدنيا للعالم بأسره .

لقد قضى جواد فجأة وعلى شكل كارثة ، وان ما خلفه بدّد بين بغداد واوروبا والولايات المتحدة . والتمثال الوحيد العظيم الذى نحته للثورة فى بغداد لا يكفى ، بكل ما فيه من روعة ، لأن يظهر لنا مدى الوانه ، ومهارته ، ودفئه ، ونفاذه ، وانسجامه المتزن . اننا فى حاجة لرسومه المائية ، والزيتية ، ولنحته الخشبى . ان نتاجه ينبغى ان يجمع ، مرة على الاقل ، ينبغى ان يعرض ، يسجل فى سجل خاص ، وان ينسخ ، لان جواد سليم كان اكبر من فنان موهوب . كان احد القلة الذين يحكموا بكلا العالمين : الحديث ، والشرقى . لقد استطاع ان تجمع بينهما ، وان يحياهما متحدين ، وان يخلق منهما معا نتاجه الخاص الذى يمثل عالما جديدا للشرق هو عالم الشرق ذاته .. ينبغى ألا ينسى ، وألا تندثر اعماله ، فهى احدى المنائر التى تسطع بنورها فوق الوهاد المظلمة لعشرات السنين المقبلة فى الشرق .

ترجمة : فؤاد ترزى